حُسْن الاستماع

المدخل، قلّة الكلام

إعداد: محمد ناصر

«وأمّا حقّ السَّمع فتنزيهه عن أن تجعله طريقاً إلى قلبك إلّا لفوهة كريمة تُحدِث في قلبك خيراً أو تُكسِب خُلُقاً كريماً..». الإمام زين العابدين عليه السلام

حُسن الإستماع من أهمّ الآداب المضيَّعة وهو يتوقّف على قلّة الكلام. ما يلي مختارتٌ من الآيات والرّوايات حول هذا الأدب الرّفيع، يليها قولٌ للمحدّث النّوري رحمه الله.

❖ كتاب الله عزَّ وجلَّ:

❊ ﴿وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾ طه:١٣

❊ ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا﴾ الإسراء:٣٦

❊ ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ الأعراف:٢٠٤

❊ ﴿.. فَبَشِّرۡ عِبَادِ ١٧ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ الزمر:١٧-١٨

❊ ﴿وَقَدۡ نَزَّلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أَنۡ إِذَا سَمِعۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكۡفَرُ بِهَا وَيُسۡتَهۡزَأُ بِهَا فَلَا تَقۡعُدُواْ مَعَهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦٓۚ إِنَّكُمۡ إِذٗا مِّثۡلُهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ النساء:١٤٠

❖ الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام:

❊ «سامع ذكرِ الله ذاكر».

❊ «مَن أحسن الإستماع تَعَجَّل الإنتفاع».

❊ «إذا جلستَ إلى عالم فكُن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول، وتعلَّم حسن الإستماع كما تتعلّم حسن القول، ولا تقطع على أحد حديثه».

❊ «سامع هجر القول شريك القائل».

❊ «سامع الغِيبة أحد المُغتابين».

❊ «عوِّد أذنك حسن الإستماع ولا تُصغِ إلى ما لا يزيد في إصلاحك استماعه، فإنَّ ذلك يُصدِئ القلوبَ ويوجب المَذام».

❖ الإمام الحسن عليه السلام: في وصف أخ صالح كان له: «كان إذا جامع العلماء على أن يَستمِع أحرص منه على أن يقول».

الإمام زين العابدين عليه السلام: من رسالة الحقوق: «وأمّا حقّ السَّمع فتنزيهه عن أن تجعله طريقاً إلى قلبك إلّا لفوهة كريمة تُحدِث في قلبك خيراً أو تُكسِب خُلُقاً كريماً، فإنّه باب الكلام إلى القلب يؤدِّي إليه ضروب المعاني على ما فيها من خير أو شرّ، ولا قوّة إلّا بالله».

❖ الإمام الصادق عليه السلام: «من أخلاق الجاهل الإجابة قبل أن يسمع، والمعارضة قبل أن يفهم، والحكم بما لا يعلم.

قال العلماء

وأمّا ما فرضه الله تعالى على الأُذنَين، فالإستماع إلى ذكر الله تعالى، والإنصات لِما يُتلى من كتابه، وترك الإصغاء لِما يسخطه، فقال سبحانه: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ الأعراف:٢٠٤، وقال تعالى: ﴿وَقَدۡ نَزَّلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أَنۡ إِذَا سَمِعۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكۡفَرُ بِهَا وَيُسۡتَهۡزَأُ بِهَا فَلَا تَقۡعُدُواْ مَعَهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦٓ..﴾ النساء:١٤٠.

ثمَّ استثنى برحمته موضع النّسيان، فقال: ﴿..وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الأنعام:٦٨، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿..فَبَشِّرۡ عِبَادِ ١٧ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ الزمر:١٧-١٨

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ القصص:٥٥.

وفي كتاب الله ما معناه: معنى [ما] فرضه الله على السَّمع وهو الإيمان.

(مستدرك الوسائل، الميرزا النوري)